مجلة الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة

منهج "ابن عاشور" في دراسة مشكل القرآن في تفسيره " التحرير والتنوير" جمعاً ودراسة وموازنة سورة الأنعام -أنموذجاً-

حسين معين مال الله الحوسني

جامعة الشارقة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – قسم أصول الدين

U20200972@sharjah.ac.ae

الأستاذ المشارك الدكتور

مهدي قيس عبد الكريم الجنابي

جامعة الشارقة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – قسم أصول الدين-

maljanabi@sharjah.ac.ae

نسخة معدلة
بعد إضافة التعديلات والملاحظات من قبل المحكمين
بتاريخ: 2022/8/27

المُلَخَّص

حسين معين الحوسني

أ.م. د. مهدي قيس عبدالكريم الجنابي

يتناول هذا البحث دراسة مشكل القرآن في تفسير(التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور "رحمه الله"، وذلك باستنباط أنواع المشكل التي نص عليها ابن عاشور في تفسيره لسورة الأنعام، وبيان منهجه في توضيحها ودراستها.

وتكمن أهمية البحث في الكشف عن أوجه الإعجاز البياني للقرآن بتدبر الآيات التي يكون في ظاهرها ما يوهم بوجود المشكل فيها ودراستها، فيزال ذلك الإشكال بعد دراسته بمنهج علمي دقيق.

وتم تقسيم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، **وسبعة مطالب**، ثم خاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج، والتوصيات.

والدراسة من جانبين: جانب نظري: يتناول التعريف بالإمام ابن عاشور، وبتفسيره " التحرير والتنوير"، ومنهجه في دراسة مشكل القرآن عموماً، وجانب تطبيقي: نبين فيه منهجَ ابن عاشور في دراسة المشكل الذي ورد في سورة الأنعام خصوصاً، واتبعنا في هذا البحث المنهج الاستقرائي، ثم المنهج التحليلي، **وخلصت الدراسة** إلى أن المشكل في القرآن أمر نسبي، فقد يشكل على أحد ما لا يشكل على الآخر؛ لأن المشكل ليس في القرآن، وإنما في فهم العلماء والدارسين.

الكلمات المفتاحية: (مشكل القرآن، المشكل عند ابن عاشور، سورة الأنعام)

Ibn Ashour's approach to studying the problem of the Qur'an

In his interpretation of " **Al tahrir w Al tanwir** *"*

Collecting, studying and balancing

Surat Al-An'am - a model

Hussein Mueen Mal Allah Al Hosani
Asst. Prof. **Dr. Mahdi Qais Abdul Karim Al-Janabi**

Summary:

This research deals with the study of the problem of the Qur'an in the interpretation of (liberation and enlightenment) by Al-Taher bin Ashour "may God have mercy on him", by deriving the types of problem that Ibn Ashour stipulated in his interpretation of Surat Al-An'am, and explaining his method in clarifying and studying them.

The importance of the research lies in revealing the aspects of the rhetorical inimitability of the Qur'an by reflecting on the verses that seem to give the illusion of the existence of the problem in them and studying them, so this problem will be removed after studying it with an accurate scientific method.

The research was divided into: an introduction, a preface, and Seven demands, then a conclusion in which we mentioned the most important results and recommendations..

The study has two aspects: a theoretical aspect: it deals with the definition of Imam Ibn Ashour, and his interpretation of "liberation and enlightenment," and his method in studying the problem of the Qur'an in general, and an applied aspect: we show Ibn Ashour's approach in studying the problem that was mentioned in Surat Al-An'am in particular, and we followed in this research the inductive approach. , then the analytical approach, and the study concluded that the problem in the Qur'an is a relative matter, as it may be formed on one that is not formed on the other; Because the problem is not in the Qur'an, but in the understanding of scholars and scholars.

Keywords:

(The problem with the Qur'an, the problem with Ibn Ashour, Surat Al-An'am)

المُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛ **فإنَّ علم الكتاب المنزل من رب العالمين على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، أعظم علم صرفت إليه الهمم؛ إذ أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعجز بلفظه، و المتعبّد بتلاوته.**

إلا أنه قد لصق بالعلم شيء من الجهل، وخالط اليقينَ شيء من الوهم، فاختلفت مدارك الناس وأفهامهم وآراؤهم في فهم مراد الله من آيات كتابه الكريم، ولهذا كان في القرآن آيات ليست بالقليل يستشكلها كثير من الناس، بل وتوهم من نظر في القرآن نظرة قاصرة أن في القرآن الكريم تناقضاً، وحاشاه أن يكون فيه شيء من ذلك، إنما سبب ذلك قلة العلم غالباً، وسوء النية، وفساد المعتقد أحياناً.

فهيأ الله تعالى لخدمة كتابه العزيز طائفة من العلماء يفسرونه ويؤولونه، ويدفعون شبهات الطاعنين عنه، ويزيلون الإشكالات في فهم آياته التي علقت في أذهان الكثير من الناس، فصنفوا في ذلك مصنفات قيمة ومتنوعة دفعت الإشكال عن آيات القرآن.

ولا يخفى على أهل العلم أن تفسير **" تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد"** للإمام الطاهر بن محمد بن عاشور (ت: 1393ه) "رحمه الله " من أهم تلك التفاسير التي عالجت مشكل القرآن، إذ نهل من منهل جهود العلماء الذين سبقوه في هذا المضمار، ولذلك استطاع أن يتميز، ويضيف في هذا العلم الذي نحن بصدد دراسته وبيانه في هذا البحث.

ولذلك اخترنا هذا الموضوع ليكون محل بحثنا، وجعلناه بعنوان: **(منهج ابن عاشور في دراسة مشكل القرآن في تفسيره "التحرير والتنوير" جمعاً ودراسة وموازنة / سورة الأنعام أنموذجاً).**

" والله الموفق "

أسباب اختيار الموضوع:

1- الوقوف على أنواع المشكل الواردة في مفهوم بعض آيات سورة الأنعام، لدراستها والجواب عليها.

2- اهتمام ابن عاشور بمشكل القرآن خلال كتابه (التحرير والتنوير)، وتميزه في ذلك، فحرصنا أن ننهل من علمه، ونستفيد من دراسته لمشكل القرآن وإزالته بمنهج علمي دقيق.

3- التعرف على منهج ابن عاشور في بيان المشكل من خلال تفسيره لسورة الأنعام.

أهمية الموضوع:

1. إنَّ علم مشكل القرآن يكشف عن أوجه الإعجاز البياني والبلاغي في القرآن
2. بيان أهمية تفاسير العلماء، وإبراز الجهد العظيم الذي بذلوه في الذب عن كتاب الله.
3. بيان رصانة ودقة المنهج العلمي الذي تميز به " **التحرير والتنوير**" لابن عاشور.
4. دراسة مشكل القرآن تزيل ما يتوهمه البعض من وجود إشكال حقيقي في القرآن

إشكالية البحث:

هذا البحث يجيب عن الأسئلة الآتية:

1. ما المقصود بمشكل القرآن الكريم؟
2. ما أنواع المشكل التي نص عليها ابن عاشور خلال تفسيره لسورة الأنعام؟
3. ما هو منهج ابن عاشور في بيان المشكل ثم الجواب عليه خلال تفسيره؟
4. هل وافق ابن عاشور المفسرين الذين نقل عنهم في إيراده للمشكل في تفسير سورة الأنعام؟

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم المشكل القرآني ومتشابهه، وبيان أنواعه، وأسبابه.
2. استخراج أنواع المشكل التي نص عليها ابن عاشور خلال تفسيره لسورة الأنعام.
3. بيان منهج ابن عاشور في تحديد المشكل في آيات سورة الأنعام، ثم دفعه.
4. بيان مواضع الاتفاق أو الاختلاف بين ابن عاشور والمفسرين الذين نقل عنهم في إيراده للمشكل في تفسير سورة الأنعام.

الدراسات السابقة:

إن دراسة علم مشكل القرآن في تفسير آيات القرآن خاصة ليست بالجديدة؛ فقد ألف فيها العديد من العلماء والباحثين، فمن أهم هذه الدراسات:

1. **(مُشْكِل الآيات القرآنية المتعلّقة بالنبي عليه الصلاة والسلام عرضًا وتوجيهًا)**، للباحثين: حسين علي عمر الزومي، أحمد الدرسي، ماجستير بقسم القرآن وعلومه بجامعة المدينة العالمية: وتناول هذا البحث دراسة مُشْكِل الآيات المتعلّقة بالنبي عليه الصلاة والسلام فقط، ونقل توجيه أهل العلم لها.
2. **(توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة و تفسيراً وإعراباً)**، للدكتور عبد العزيز الحربي، جامعة أم القرى، 1417هـ، وطبع في دار ابن حزم للنشر والتوزيع ،1424هـ.ط1: **إن الباحث في هذه الدراسة قد تناول عرض القراءات القرآنية التي أسشكلت على بعض المفسرون والنحويون وغيرهم من العلماء في كتبهم خلال تفسيرهم لها، ثم جاب عليها وأزال ما يوهم الاستشكال.**
3. **(مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور جمعاً ودراسة)**، للدكتور علي بن عبد الله ابن حمد السكاكر، الجامعة الإسلامية، سنة النشر: 1437هـ: أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنور: وهو كتاب جمع فيه المؤلف الأقوال المتعلقة بالنص على المشكل القرآني في تفسير ابن عاشور خاصة، وبقية كتب التفسير عامة.

- **أوجه الاختلاف بين بحثنا وهذه الدراسة :**

وعلى الرغم من اتفاق بحثنا مع هذه الدراسة التي قام بها الدكتور علي السكاكر في العنوان والموضوع فيما يتعلق في موقف ابن عاشور في تفسيره" التحرير والتنوير" المشكل في تفسير السور القرآنية إيراداً وتحريراً، ثم دفعاً وجواباً، إلا أننا في دراستنا قد تناولنا هذا الموضوع بشيء من الاختلاف في نقاط جوهرية عن منهج الدراسة السابقة خلال دراسة منهج ابن عاشور في دراسته للمشكل في تفسيره ، وذلك على النحو الآتي:

1-هذه الدراسة تشمل جميع السور القرآنية في بيان المشكل في تفسير ابن عاشور بوجه خاص، وبقية كتب التفسير بوجه عام، **بينما بحثنا** يختص بدراسة المشكل في سورة الأنعام كنموذج، في " التحرير والتنوير" لابن عاشور، مع بيان موجز بالتعريف بالسورة الكريمة.

2-اكتفى الدكتور علي السكاكر في دراسته بنقل أقوال ابن عاشور في نص الإشكال في الآيات القرآنية فقط، **ولم ينقل عنه أي قول من تفسير ابن عاشور** فيما يتعلق **بتحرير المشكل والجواب عليه** وذلك في مشكل اللفظ والمعنى في سورة الأنعام، وإنما أسهب إسهاباً مطولاً في سرد أقوال العلماء والمفسرين في بيان تحرير المشكل والجواب عليه، ومن ثم يجتهد أحياناً في تحرير المشكل دون الرجوع إلى تفسير ابن عاشور، ثم يذكر الراجح من أقوال المفسرين التي نقلها ودرسها، ولم يدخل قولاً واحداً لابن عاشور مع أنه مناط الدراسة.

بينما بحثنا قد تقصى واستقرأ واستخرج أقوال ابن عاشور بنصها في جميع المنهجيات الثلاث وهي(النص على المشكل، وتحريره، والجواب عليه) دون غيره من المفسرين، فلم يتطرق البحث إلى التشعبات في خضم أقوال العلماء والمفسرين التي نصت عليها الدراسة السابقة من مصادرها ، **حيث قام بحثنا باستبدالها** بأقوال ابن عاشور التي لم يذكرها صاحب الدراسة السابقة في تحرير المشكل وجوابه ، إلا في النادر القليل في سور أخرى.

فعلى سبيل المثال لا الحصر :

فنجد مثلاً في بيان المشكل في قوله تعالى: **:﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(الأنعام: 109)**

أن الدكتور السكاكر قد نقل كلام "الإمام الألوسي" صاحب تفسير "روح المعاني" في تحرير مشكل هذه الآية، وكذلك كلام "الرازي" من تفسير "مفاتيح الغيب"، ثم نقل كلام

أبي حيان من تفسير "بحر المحيط" ، **ولم يذكر لابن عاشور أيَّ قولٍ** من تفسيره، مع أن ابن عاشور قد تناول تحرير هذا المشكل في تفسيره.

بينما بحثنا قد استبدل فيه كلام الألوسي، والرازي، وأبو حيان **بكلام ابن عاشور** في تحرير المشكل الذي هو من المفترض نقله وبيانه كون الدراسة تحمل منهجه -رحمه الله- وهو قوله: " وإنما العقدة في وجود "حرف النفي" من قوله :(لَا يُؤْمِنُونَ)."

وأما ما يتعلق بجواب مشكل هذه الآية فإن صاحب الدراسة لم يتطرق إلى كلام ابن عاشور في جواب المشكل الذي في قوله تعالى:(لا يؤمنون) **بتاتاً**، وإنما فصَّل في أقوال المفسرين في مشكل لم يتطرق إليه ابن عاشور خلال تفسير هذه الآية، وإنما كان تفسيراً منه لها، وهي: مسألة فتح الهمزة في قوله: (أَنَّهَآ) والقراءات القرآنية فيها.

بينما بحثنا قد تناول مالم تتناوله هذه الدراسة، **وهو جواب ابن عاشور** على مشكل هذه الآية.

علماً بأن هذا المثال نموذج على أوجه الاختلاف بين هذا البحث وتلك الدراسة السابقة، حيث ينطبق كذلك على باقي دراسة الآيات الست لسورة الأنعام والتي تناولتها الدراسة السابقة في بيان منهج ابن عاشور في دراسة المشكل فيها من حيث تحريره والجواب عليه، **فلم تذكر الدراسة السابقة تحرير وجواب ابن عاشور على أغلب إشكالات آيات سورة الأنعام التي هي مناط الدراسة، فجاء هذا البحث مخصصاً لأقوال ابن عاشور من تفسيره التي تحرر المشكل وتجيب عليه.**

3-**لم تتناول الدراسة السابقة** تعريف مشكل القرآن كمصطلح مركب، وإنما عرفت المشكل فقط دون الربط بتعريف القرآن الكريم، **بينما هذا البحث** قد تناول تعريف مشكل القرآن كمصطلح مركب، فعرفنا القرآن لغة واصطلاحاً، ثم عرفنا المشكل لغة واصطلاحاً ، ثم وقفنا على المراد من مصطلح (**مُشكل القرآن**)

منهج البحث:

اتبعنا في هذا البحث ما يأتي:

- **المنهج الاستقرائي: وهو جمع المعلومات للوصول إلى النتائج باستخدام الملاحظة، والتتبع، وتحديد المشكل، وذلك من خلال:**

1- تتبع أنواع المشكل في تفسير سورة الأنعام من خلال تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

2- استخراج وتحديد نص المشكل الذي أشار إليه ابن عاشور أو بما يوحي على الإشكال من ألفاظ، سواء رأى أنها مشكلة، أو نقل ذلك عن غيره، والجواب عنه.

- **المنهج التحليلي: القائم على تحليل موضوع الدراسة، ومضمونه، وتفسير واستنتاج الدلالات المرادة، واستنباط النتائج، وذلك من خلال:**

3- تحرير موضع المشكل في تفسير ابن عاشور، ودراسته.

4- تفسير الجواب عن المشكل الذي توصل إليه ابن عاشور.

5- مقارنة جواب ابن عاشور عن المشكل مع أجوبة المفسرين الذين أخذ من تفاسيرهم لهذا المشكل، واستنتاج العلاقة بين الأجوبة.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث تقسيمه على :

مقدمة، وتمهيد، **وسبعة مطالب**، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، وأهم التوصيات، وأخيراً قائمة المصادر والمراجع، وفق الترتيب الآتي :

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلات البحث وأهدافه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في البحث، ثم خطة البحث.

التمهيد: التعريف بالطاهر ابن عاشور – رحمه الله – وتفسيره، ويشتمل على مطلبين:

أولاً: ترجمة موجزة عن الطاهر بن عاشور.

ثانياً: تعريف موجز بتفسير " التحرير والتنوير" .

المطلب الأول: تعريف مشكل القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ضوابط إيراد مشكل القرآن في تفسير أبن عاشور

المطلب الثالث: منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل اللغة في سورة الأنعام.

المطلب الرابع: منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل المعنى في سورة الأنعام.

المطلب الخامس: منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل القراءة القرآنية في سورة الأنعام.

المطلب السادس: منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل السياق في سورة الأنعام.

المطلب السابع: منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل سبب النزول في سورة الأنعام.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وأهم التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

التعريف بالطاهر ابن عاشور – رحمه الله – وتفسيره

أولاً : ترجمة موجزة عن الطاهر بن عاشور

- **اسمه نسبه:**

هو:(محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن محمد الشاذلي بن عاشور الشريف التونسي، جده للأب هو: محمد الطاهر بن عاشور الشريف[1]، وجده لأمه هو: الوزير الأكبر محمد العزيز بوعتّور[2]، وهو من أسرة اشتهرت بالفضل والعلم) [3].

- **مولده:**

وُلد ابن عاشور، في قصر جده لأمه، في(ضاحية المرسى التونسية)[4] ، سنة (1296هـ)، الموافق لشهر سبتمبر، سنة (1876م) [5]

---

(1) هو: أَبُوعبد الله محمد الطاهر بن عاشور المالكي، تصدر للتدريس في جامع الزيتونة، والقضاء، والافتاء، من تصانيفه: " تعليقات على ما أقراه من صحيح مسلم"، وغيره، توفي(1284هـ)، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط 2، 1994م، 3/ 300-303 .

(2) هو: محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد بوعتور، وزير من العلماء والكتاب، توفي سنة (1325هـ)، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين ، محفوظ، 3/355-357.

(3) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ، محمد الحبيب بن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (د.ط)، 1425هـ -2004م ، 1/153 .

(4) المَرسى: ضاحية من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية، تبعد عشرين كيلوا مترا من تونس، ينظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره، د. بالقاسم الغالي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ، ط1 ، 1417هـ - 1996م ، ص37.

(5) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محفوظ، 3/304 .

- **نشأته العلمية :**

نشأ " ابن عاشور" وشبَّ في كنف والده، ثم تربّى تحت رعاية جده لأمه، ثم تعلَّم في الكُتَّاب حتى أتقن حفظ القرآن، وكذلك تعلَّم اللغة الفرنسية [1] ، ولما بلغ من العمر أربعة عشر عاماً التحق بجامع الزيتونة [2] في سنة(1310هـ)، وكان ذا ذكاء قوي، فتميز على أقرانه[3].

- **شيوخه:**

تعلم الكثير من العلوم على يد علماء أصحاب مقام علمي وفكري في تونس، فعمقوا ثقافته الإسلامية بمختلف العلوم، فمنهم: جده الوزير بوعتور، وهو أول شيوخه، ثم تتلمذ على **يد "عمر بن الشيخ"** [4] في جامع الزيتونة، وغير ذلك من العلماء .

- **مكانته العلمية :**

لقد شهد له العلماء، على سمو مكانته العلمية، حيث أضاف إلى التراث الإسلامي مؤلفات قيمة تشهد له بذلك، تميزت بالإبداع، والموسوعية، فمن أهمها:

- كتاب " أليس الصبح بقريب "، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع ،1967 م)
- كتاب "مقاصد الشريعة الإسلامية "،(تونس: " الشركة التونسية ،1985م.)
- كتاب " كَشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطّأ) تونس: الشركة التونسية 1975م).

---

(1) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، ابن الخوجة، 27/1.

(2) جامع الزيتونة أسسه وبناه عبيد الله بن الحبحاب، سنة (114هـ)،وأتم بناءه على عهد خلافة هشام بن عبدالملك، وهو أول جامع أسس في تونس، ينظر: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، محمد بن أبي دينار، مطبعة الدولة التونسية، تونس ، ط 1 ،1386هـ ، ص 7-9

(3) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محفوظ، 304/3.

(4) هو: عمر بن أحمد المعروف بابن الشيخ، الفقيه، المتكلم، ومن مصنفاته: (رسائل في مسائل العلوم)، وتوفي سنة (1329هـ)، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محفوظ، 213/3-218.

- **تلاميذه :**

من أبرز المتخرجين في مدرسته وأشهرهم وهو:

ابنه محمد الفاضل ابن عاشور[1]، فقد قرأ عليه بجامع الزيتونة مدة خمس سنوات تفسير البيضاوي، والموطأ، وأخذ منه الأدب والعلم، ومكارم الأخلاق [2].

- **وظائفه العلمية والإدارية وانجازاته:**

لقد كانت مسيرة ابن عاشور حافلة بالإنجازات الوظيفية العلمية، والإدارية، والتي تميز بالدور الإصلاحي من خلالها، فمنها على سبيل المثال [3]:

في سنة (1325هـ - 1904م) عُيِّن نائباً عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة.

وفي سنة (1331هـ - 1913م) عُيِّن قاضياً مالكياً للجماعة.

وفي سنة (1351هـ - 1932م) عُيِّن شيخ الإسلام المالكي، وهو أول من تولى هذا المنصب.

- **خامساً: وفاته:**

بعد حياة حافلة بالهمة العلمية العالية، والإصلاح والتجديد على مستوى تونس، والعالم الإسلامي، **توفي** -رحمه الله- يوم الأحد، في الثالث عشر من شهر رجب، سنة (1393هـ) الموافق لسنة(1973م) عن عمر ناهز الـ (97) عاماً، ودفن بمقبرة (الزلاج) في مدينة تونس [4]، رحمه الله رحمة واسعة.

---

(1) هو: محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، الخطيب والأديب، تخرج بالزيتونة وأصبح أستاذًا فيها فعميدًا، من أشهر مؤلفاته: "التفسير ورجاله"، توفي سنة (1390هـ)، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محفوظ، 310/3-311.

(2) ينظر: شيخ الجامع الأعظم ابن عاشور، الغالي، ص66.

(3) ينظر: شيخ الإسلام ابن عاشور، ابن الخوجة، 166/1-168.

(4) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محفوظ، 307/3.

ثانياً: تعريف موجز بتفسير " التحرير والتنوير"

- **اسم الكتاب:**

قال ابن عاشور: "وسميته: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، **ثم قال: "واختصرتُ** هذا الاسم باسم: " التحرير والتنوير من التفسير "[1]

- **الهدف من تأليف هذا التفسير:**

قال ابن عاشور في مقدمته لتفسيره مُبيّناً غرضه من تأليف (التحرير والتنوير) : " فجعلت حقاً علي أن أُبْدِيَ في تفسير القرآن نُكَتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، وأن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده " [2] ، ثم يَمتَدِحُ تفسيره قائلاً: " ففيه أحسن مما في التفاسير"[3].

- **منهج ابن عاشور في تفسيره:**

ومن تصفح تفسير التحرير والتنوير يتضح له أن **ابن عاشور** قد رسم لتفسيره منهجاً علمياً تتجلى فيه قيمة هذا التفسير، ومن أهم هذه المناهج:

(أ) بدأ الطاهر بن عاشور تفسيره بمقدمات عشر: تضمنت علماً مهماً وفيراً قيماً؛ لتكون -كما يقول- : " عوناً للباحث في التفسير، وتغنيه عن مُعاد كثير" [4].

(ب) حرص -رحمه الله- أثناء تفسيره لكل سورة قرآنية على بيان أغراضها:

قال ابن عاشور: " ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط بها من أغراضها..." [5].

---

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس ،(د. ط)، 1984م ، 8/1.

(2) المرجع السابق، 7/1.

(3) المرجع السابق، 8/1.

(4) المرجع السابق، 7/1.

(5) المرجع السابق، 8/1.

(ج) التزم في تفسيره ببيان معاني المفردات اللغوية ودلالاتها النحوية:

قال ابن عاشور: " واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة " [1].

كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ (الأنعام: 14)، **قال:**" الْوَلِيُّ :النَّاصِرُ الْمُدَبِّرُ، فَفِيهِ مَعْنَى الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ .يُقَالُ :تَوَلَّى فَلَانًا، أَيِ اتَّخَذَهُ نَاصِرًا.."[2]

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى﴾ (الأنعام : 27) .

بيَّن الدلالة النحوية، **فقال**: " وجِيءَ فِيهِ بِصِيغَةِ الماضِي لِلتَّنْبِيهِ عَلى تَحْقِيقِ وُقُوعِهِ" [3].

(هـ) نهج في تفسيره منهج التفسير بالقراءات القرآنية:

كما في تفسير قوله تعالى:﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:119):

قال ابن عاشور: " وقَرَأ نافِعٌ، وابْنُ كَثِيرٍ، وأبُو عَمْرٍو: **(لَيَضِلُّونَ)** [4] عَلى أنَّهم ضالُّونَ في أنْفُسِهِمْ، وقَرَأهُ عاصِمٌ، وحَمْزَةُ، وخَلَفٌ: بِضَمِّ الياءِ عَلى مَعْنى أنَّهم يُضِلِّلُونَ النّاسَ، والمَعْنى واحِدٌ؛ والمَقْصُودُ التَّحْذِيرُ مِنهم وذَلِكَ حاصِلٌ عَلى القِراءَتَيْنِ " [5]

(و) اهتم ببيان تناسب اتصال الآيات بعضها ببعض وبسياقها:

قال ابن عاشور: " واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي " [6]

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 8/1.

(2) المرجع السابق، 7/ 158.

(3) المرجع السابق، 7/ 184.

(4) قراءة متواترة، ينظر: النشر في القراءات العشر، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق: علي الضباع، دار الفكر، بيروت، ط1، (د.ت)، 262/2.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 8/ 35-36.

(6) المرجع السابق، 8/1.

(ز) اهتمامه بتحرير المشكل وإزالته من معاني ألفاظ الآيات وجملها:

اهتم ابن عاشور بدراسة ما أُشكل فهمه من مراد كلام الله في بعض آياته، دراسةً علميةً دقيقة، فعالج عما أُشكِل على المفسرين من معاني الآيات، فنقل إشكالاتهم، وناقشها، ورجح ما يراه مناسباً، بل وأحياناً يصرح بوجود المشكل في موضعٍ ما من القرآن، وإن لم ينقله من المفسرين.

المطلب الأول

تعريف مُشكِل القرآن الكريم

أولاً: تعريف القرآن لغة:

جاء في مقاييس اللغة: " وَالْقَرْوُ: حَوْضٌ ، وَمِنْهُ الْقُرْآنُ، كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ **لِجَمْعِهِ** مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقِصَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ " (1)

وجاء في لسان العرب: القُرآن: قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، قَرءاً **وقِراءَةً** وقُرآناً، فَهُوَ مَقْرُوءٌ، ويُسمى كَلَامُ اللَّهِ قُرْآناً لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر، فيَضُمُّها (2)

وجاء في القاموس المحيط: " القُرْآنُ: التَّنْزِيلُ، وقَرَأَهُ، قَرْءاً وقراءَةً وقُرْآناً، فهو قارئٌ من قَرَأَةٍ وقُرّاءٍ وقارِئينَ: **تَلاَهُ**، كاقْتَرَأَهُ، وأَقْرَأْتُهُ أنا، وصَحيفَةٌ مَقْرُوَّةٌ ومَقْرِيَّةٌ، وقَارَأَهُ مُقارَأةً وقِرَاءً: **دارَسَهُ**" (3)

وجاء في المعجم الوسيط: " قَرَأَ الْكتاب قِرَاءَة وقرآنا تتبع كَلِمَاته، وَالشَّيْء قرءاً وقرآناً جمعه، **وضم** بعضه إِلَى بعض" (4) .

وبذلك يتبين أن المعنى اللغوي للقرآن يدور في فلك: (**القراءة، وجمع الشي وضم بعضه إِلَى بعض، والتلاوة، والدراسة، والتتبع**)

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1399هـ - 1979م، 79/5.

(2) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط3 ،1414هـ، 1/ 128، فصل (القاف) ، مادة (قرأ).

(3) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط8، 1426 هـ - 2005 م، ص:49

(4) ينظر: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ،حامد عبد القادر ، محمد النجار) دار الدعوة، ط4، 2008م، 722/2

ويؤيد ما جاء في معاجم اللغة من تعريف القرآن ما بيَّنه صاحب كتاب مجاز القرآن: في قوله: " أُطلق اسم القرآن على كتاب الله ؛ لأنّه يؤلّف بين السور، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (النحل: 98)، إذا تلوت بعضه في إثر بعض، حتى يجتمع وينضمّ بعضه إلى بعض، ويصير إلى معنى التأليف والجمع" [1].

ثانياً : تعريف القرآن اصطلاحاً:

يقول تقى الدين السبكي في تعريفه للقرآن :"هو الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه"[2]

ويقول السرخسي: " القرآن هو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، المكتوب في دفات المصاحف، المنقول إلينا على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً"[3]

ويقول الإمام الشوكاني في تعريفه للقرآن: " هو الكلام المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً"[4].

وعرَّف أبو شهبة القرآن الكريم تعريفاً جامعاً شاملاً، بقوله: " هو كلام الله تعالى، المُنزل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، بلفظه ومعناه، المعجز بلفظه، المتعبّد بتلاوته، المُفتتح بسورة الفاتحة، والمُنتهي بسورة الناس، المكتوب في المصاحف، والمنقول إلينا بالتواتر" [5].

---

(1) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد ، مكتبة الخانجى للنشر، القاهرة، (د.ط)، 1381 هـ، 1/1-3.

(2) الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية، بيروت ،1416هـ - 1995، 190/1

(3) أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة، بيروت، 1/ 279

(4) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق الطبعة، ط1، 1419هـ - 1999م ، 85/1

(5) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شُهبة ، مكتبه السنة، القاهرة ، ط2، 2003 ، ص8

ثالثا: تعريف المشكل لغة:

جاء في مقاييس اللغة: " شَكِلَ": الشِّينُ وَالْكَافُ وَاللَّامُ مُعْظَمُ بَابِهِ الْمُمَاثَلَةُ .تَقُولُ :هَذَا شَكْلُ هَذَا، أَيْ مِثْلُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ، والمُشاكَلَةُ: المُشابَهَةُ والمُماثَلَةُ [1].

وجاء في لسان العرب: أَشْكَل الأَمْر: الْتَبَس، والشُّكْلة الحُمْرة تَخْتَلِطُ بِالْبَيَاضِ، وَمِنْهُ قِيلَ للأَمر المشتَبه مُشْكِلٌ، وأَشْكَل عَلَيَّ الأَمْر إذا اخْتَلَط [2].

وبذلك يتضح أن المعنى اللغوي للمشكل يدور حول: (المماثلة، والمشابهة والالتباس، والاختلاط، والمشتبه).

رابعاً: تعريف المشكل اصطلاحاً:

تشترك بعض علوم الدين، في موضوع المشكل، مثل: أصول الفقه، والحديث، وعلوم القرآن، ولكن يختلف تعريفُه تبعًا لاختلاف تخصصات الباحثين فيه من مفسرين ومحدثين وأصوليين، مع اختلاف في اللفظ، وتقارب في المعنى.

فأما تعريف المشكل عند الأصوليين فهو مما يدخل في مفهوم المتشابه:

قال الشاطبي: " المتشابه هو: ما أشكل معناه، ولم يبين مغزاه" [3].

وقال الباجي: "المتشابه هو المشكل الذي يحتاج في فهم مراده إلى الطلب والتأمل" [4].

ومن المتأخرين: **عرَّفه عبدالوهاب خلاّف** قائلاً**:** المشكل هو: اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، بل لا بد من قرينة تبين مراده [5].

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، 204/3، (مادة: شَكِلَ) .

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 11/ 357، فصل (الشين) ، مادة (شَكَلَ) .

(3) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: سليم عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ، 2/ 736.

(4) إحكام الفصول في أحكام الأصول، أبو الوليد الباجي، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ - 1995م ، 176/1.

(5) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، ط14، 1401ه، ص171.

وأما تعريف المشكل عند المحدّثين:

فهو يعني الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيد مقبولة، يُوهِم ظاهرها ألفاظ ومعاني مستحيلة، أو معارِضة لقواعد شرعية ثابتة [1].

ومما تقدم نجد أن تعريف "المشكل" عند المحدثين هو أعم وأشمل من تعريف الأصوليين؛ إذ يتناول كل ما غمُض فهمه في الحديث، سواء أكان في فهم الحديث نفسه، أو تعارض بين حديثين أو بين حديث وآية، أوبين حديث وإجماع أو قياس وغيره، والله أعلم.

وما ذهب إليه المحدّثون سنجده أيضاً عند علماء علوم القرآن في تعريفهم للمشكل:

يقول الزركشي:" الْمُتَشابِه مثل الْمُشْكِلِ؛ لأَنه أَشْكَلَ، أَيْ دَخَلَ فِي شَكْلِ غَيْرِهِ وَشَاكَلَهُ، كَذَلك سياق معاني الْقرآن قد تَتَقارب المعانِي.. فَتَشْتَبِكُ الْمعانِي وَتُشْكِلُ إِلَّا على أُولي الْأَلباب" [2].

ويقول السيوطي: " في مُشْكِلِهِ وَمُوهِمِ الِاخْتلاف وَالتَّنَاقُضِ... والْمراد به مَا يُوهِمُ التَّعَارُضَ بين الْآيَاتِ... وَلكن قَد يقع لِلمبتدئ ما يُوهِمُ اختلافًا وليس به فِي الحقيقة، فاحتيج لِإزالته " [3] .

---

(1) ينظر: مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء، دراسة تحليلية، د. أسامة بن عبد الله الخياط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1421هـ - 2001م، ص30.

(2) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1376 هـ - 1957 م، 2/ 69-70.

(3) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1394هـ - 1974، 88/3.

ويُلاحَظ من تعريفات المفسرين وعلماء القرآن لمفهوم المشكل أنهم عرفوا(المشكل) من حيث الشمولية، فنجد أنها شملت كل إشكال يؤدي إلى اشتباه أو التباس يطرأ على الآيات، فلم يعرف المراد منها عند كثير من المفسرين، سواء في اللفظ أم في المعنى، أم في تَوَهُّم التعارض، أم في الإعراب، أم في القراءات، فلم يقيدوه بنوع دون آخر [1].

وبعد الاطلاع على التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل من (القرآن)، و(المشكل) كل على حدة، من خلال ما تم عرضه من التعريفات اللغوية، والاصطلاحية من علماء الأصول، والحديث الشريف، وعلماء التفسير وعلوم القرآن الكريم، فإنه تتضح لنا الصورة جليةً ، للوقوف على المراد من مصطلح (**مُشكل القرآن**) .

ويمكن أن نضع لـ(مشكل القرآن الكريم) مفهوماً محدداً جامعاً مانعاً دقيقاً وهو:

أن مشكل القرآن هو : كل ما يطرأ على بعض العلماء من المفسرين وغيرهم من التباس في بعض ألفاظ آيات القرآن الكريم، وخفاء في معانيها، بأي سبب من أسباب المشكل، بحيث لا يعرف المراد منها إلاّ بعد البحث، والطلب ، أو التفكر، أو الاستقراء، سواء كانت هذه الأسباب من حيث :

- **توهم تعارض آية أو آيات مع آية أو آيات أخرى، ومع الأحاديث النبوية، أو بين القراءات القرآنية في الآية الواحدة.**
- **أو متشابه الآيات من حيث خفاء معنى الآية، وغرابة ألفاظها، وسمي المتشابه مشكلاً: لأنه أشكل أي: دخل في شكل غيره فأشبهه و شاكله .**

---

(1) حيث نجد هذه الشمولية في مصطلح المشكل من خلال الكتب المؤلفة قصداً لجمع الآيات التي أشكلت على المفسرين، مثل كتاب: "تأويل مشكل القرآن" **لأبي محمد عبدالله بن قتيبة**، وكتابي: "التفسير المشكل من غريب القرآن" و" مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب، وكتاب: " نظم الأسئلة التي تتعلق ببعض المشكلات في القراءات العشر" لعلي الطرابلسي، وكتاب: " دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب" لمحمد الأمين الشنقيطي.

- **أو اختلاف الحقيقة والمجاز: لما كان المجاز فيه من غموض، كونه من أساليب التعبير غير المباشر.**
- **أو الايجاز والاختصار، مما يلزم معه البيان لتدبر المضمون وفهمه، أدخلته في باب ما تستشكل الْيات لأجله.**
- **أو الكناية التي تستخدم للستر والخفاء في المعاني التي يجمل إخفاؤها وعدم التصريح بها إذا كان فيها كناية عن شيء غير مصرح به، فيحتاج المفسر إلى معرفة المقصود من الكناية في الْية.**
- **أو الخطأ في إعراب الجملة القرآنية الذي يؤدي إلى الاستشكال في الآيات.**
- **وما يتعلق بالتقديم والتأخير، وهو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض، فيقع بعضهم في الإشكال لعدم معرفته لمناسبة ذلك.**

والله اعلم

المطلب الثاني:

ضوابط إيراد مشكل القرآن في تفسير ابن عاشور

لقد تبين من خلال استقراء تفسير التحرير والتنوير، **أن ورود المشكل** في القرآن عند ابن عاشور يكون وفق ضوابط تحدد **وجود المشكل** خلال تفسيره للآيات، فلا يكون مشكلاً إلا بهذه الضوابط وهي كالاتي :

الضابط الأول: " التنصيص "

ونجد أن ابن عاشور قد سلك في هذا الضابط منهجين:

الأول: أنه ينص صراحة على المشكل عند المفسرين:

ومثاله : يقول ابن عاشور:" مَوْضِعَ إِشْكَالٍ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُفَسِّرِينَ" (1)

الثاني: أنه ينقل ما نص عليه أحد المفسرين أو بعضهم من استشكال في الآية:

فنجده ينقل عن القرطبي فيقول:" قال القرطبي :وَهِيَ مِنْ أَشْكَلِ مَا فِي السُّورَةِ " (2)

الضابط الثاني: " الحيرة في الاختلاف "

أن يختلف المفسرون اختلاف تضاد، حيث يصل المتأمل إلى الحيرة عند النظر في أقوالهم؛ فبسبب ذلك يراه -رحمه الله- إشكالاً في الآية فيورده، ومن أمثلة ذلك :

يقول ابن عاشور مبيناً حيرة المفسرين:" وَتَرَدَّدَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَأْوِيلِهَا تَرَدُّدًا دَلَّ عَلَى الْحَيْرَةِ فِي تَقْوِيمِ مَعْنَاهَا" (3)

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 71/8 .

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 26/23 ، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ -1964م ، 34/15

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 126/22.

الضابط الثالث: " عدم الاقتناع "

أن يأتي المفسرون بتوجيه فيرى -رحمه الله- أنه لا ينشرح له الصدر، أو يترتب عليه إشكال، أو عدم اهتمامهم بإشكالها، فيعتبره إشكالاً ثم يورده:

وعلى سبيل المثال يقول ابن عاشور في هذا الضابط:" وَقَدْ تَحَيَّرَ الْمُفَسِّرُونَ وَذَكَرُوا وُجُوهًا **لَا يَنْشَرِحُ لَهَا الصَّدْرُ** " (1)

الضابط الخامس: " ما يوهم ظاهره التعارض "

أن يكون بين الآيات القرآنية ما يوهم ظاهرها التعارض إيهاماً يدعو إلى التأمل والنظر.

الضابط السادس: " حالات إشكال القراءة المتواترة "

يورد -رحمه الله- الإشكال إذا كانت هناك قراءة متواترة مردودة من قبل عالم معتبر، أو مضعفة، أو لُحنت من قرأ بها ، أو يوجد حيرة في توجيهها.

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور ، 20/11 .

المطلب الثالث

منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل اللغة في سورة الأنعام.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ **(الأنعام: 73)**

أولاً: تحديد المشكل:

حدد ابن عاشور المشكل في الآية بالنص عليه بعد بيان تأويلها، قائلاً: " وقَدْ أشْكَلَ نَظْمُ قَوْلِهِ: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ ﴾، وذهب فيه المُفَسِّرونَ طَرائِق " [1]

ثانياً: تحرير المشكل:

قال ابن عاشور: " وللمفسرين في إعراب هذه الآية، وإقامة المعنى من ذلك مسالك غير جارية على السبل الواضحة " [2].

وهنا نجد ابن عاشور قد ألمح إلى أن الإشكال الوارد في الآية متعلق **بقواعد اللغة،** فهو إشكال بلاغي وإعرابي، عندما قال: " أشكل نظم قَوْلِهِ: (وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ) "، وهو في موقع جملة الآية:(قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ)، وارتباطها لما قبلها من حيث التقديم والتأخير في نظمها، مما يترتب عليه اختلاف الإعراب، وهو الإشكال الذي ارتبط بالآية:(وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ)، وموقعها من الإعراب، وما زال الإشكال قائماً لعدم وضوح إجابات المفسرين في دفعه أو إزالته.

---

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 307/7.

(3) المرجع السابق، 308/7.

ثالثاً: جواب المشكل:

قال ابن عاشور في جوابه عن الإشكال الوارد في الآية: " والوجه أن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ﴾ ظرف وقع خبره مقدماً للاهتمام به، والمبتدأ هو: (قَوْلُهُ)، ويكون (ٱلْحَقُّۚ) صفة للمبتدأ، وأصل التركيب: (وقوله الحق يوم يقول: كن فيكون)، ونكتة الاهتمام بتقديم الظرف الرد على المشركين المنكرين وقوع هذا التكوين بعد العدم" [1] .

نقول:

وجواب ابنِ عاشور هذا مبني على ما ذهبَ إليه **الزمخشريُ** في تفسيره لهذه الآية، حيث قال الزمخشري:"(وَيَوْمَ يَقُولُ) :خبره مقدّماً عليه، وانتصابه بمعنى الاستقراء، كقولك: يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين، والمعنى: وحين يقول لشيء من الأشياء كُنْ فيكون ذلك الشيء قوله الحق" [2].

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 307/7.

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، 38/2.

المطلب الرابع

منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل المعنى في سورة الأنعام.

المشكل الأول:

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ **(الأنعام: 38)**

أولاً: تحديد المشكل:

ابتدأ ابن عاشور بتحديد مشكل الآية قبل تأويلها، حيث نَصَّ عليه قائلاً: " **مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ غَامِضٌ بَدْءًا، وَنِهَايَتُهَا أَشَدُّ غُمُوضًا**، وَمَوْقِعُهَا فِي هَذَا السِّيَاقِ خَفِيُّ الْمُنَاسِبَةِ "[1].

ثانياً: تحرير المشكل:

من خلال استقراء تأويل ابن عاشور لهذه الآية تبين أن مشكل المعنى يكمن فيما يأتي:

1-الغموض في مفهوم قوله تعالى:(أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ):

وهذا الغموض يدفعنا إلى سؤال وهو: ما المراد بالمماثلة؟، وهل يدخل فيها التكليف والعقاب؟، ولأن سياق الآية في خطاب كفار قريش، وأن الدواب والطيور أمم أمثالهم.

وأما الغموض في نهايتها في مفهوم قوله تعالى:(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ):

قال ابن عاشور: " وبمقتضى إثبات حشر الدواب ليوم الحساب، فكان معناه خفي الحكمة إذ من المحقق انتفاء تكليف الدواب والطير تبعا لانتفاء العقل عنها"، وقال:" وَاضْطَرَبَ الْعُلَمَاءُ فِي بَعْثِ الْبَهَائِمِ " [2] ، **وقد أجاب ابن عاشور عن هذا الاضطراب أثناء حديثه عن جواب المشكل في هذه الآية.**

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور ، 213/7.

(2) المرجع السابق، 214/7-215.

ثالثاً: جواب المشكل:

فأما بالنسبة لدفع الغموض الأول فقد قال ابن عاشور: " اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ) إِلَى قَوْلِهِ :(إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ)، أن لها خصائص لكل جنس ونوع منها كما لأمم البشر خصائصها، أي جعل الله لكل نوع ما به قوامه وألهمه اتباع نظامه، وأن لها حياة مؤجلة لا محالة، فَمَعْنَى: (أَمْثَالُكُمْ) المماثلة في الحياة الحيوانية وفي اختصاصها بنظامها " [1].

وأما بالنسبة للغموض الثاني، فأجاب عليه **ابن عاشور** قائلاً: " وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ: (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)، أَنهَا صَائِرَةٌ إِلى الْموت، أَيْ فَالْحَشْرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي مجاز قَرِيب إِلَى حقِيقته اللُّغَوِيَّةِ الَّتي فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴿١٧﴾﴾ (النَّمْل: 17)" [2].

ثم قال: " لما قدم الله أن الكفار يرجعون إليه ويحشرون بين بعده أن الدواب والطير أمم أمثالهم في أنهم يحشرون، والمقصود بيان أن الحشر والبعث كما هو حاصل في الناس حاصل في البهائم" [3].

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 213/7.

(2) المرجع السابق، 213/7.

(3) المرجع السابق، 215/7.

المشكل الثاني:

في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ (الأنعام: 108)

أولاً: تحديد المشكل:

نقل ابن عاشور عن الفخر الرازي إشكالين في هذه الآية، **فقال**: " قال الفخر: (هاهنا **إشكالان**، هما: أن الناس اتفقوا على أن سورة الأنعام نزلت دفعة واحدة فكيف يصح أن يقال :إن سبب نزول هذه الآية كذا؟، وأن الكفار كانوا مقرين بالله وكانوا يقولون: عبدنا الأصنام لتكون شفعاء لنا عند الله فكيف يعقل إقدام الكفار على شتم الله تعالى؟)" [(1)].

ثانياً: تحرير المشكل:

ذكر ابن عاشور إشكالين في هذه الآية نقلهما عن الإمام الرازي.

فأما الإشكال الأول: فيتعلق بمشكل سبب النُّزول.

وأما الثاني: فهو في التصور الذهني في معنى الآية، وهو يتعلق **بمشكل المعنى**، وهو كيف بهؤلاء المشككين يعترفون بأن الله هو الخالق والرازق، ثم يقدمون على سبِّه وشتمه، فيستحيل عادةً الإقدام على شتم الإله الذين هم مُقِرّون بربوبيته، أم أن سبَّهم هذا ليس على ظاهره؟

لذا نجد الرازي يقول: " واعلم أنا قد دللنا على أن القوم كانوا مُقِرّين بوجود الإله تعالى فاستحال إقدامهم على شتم الإله " [(2)].

---

(1) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ ، 13/ 109، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، 7/ 428-429.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، 13/ 109.

ثالثاً: جواب المشكل:

قال ابن عاشور: " ويدفع الإشكال الثاني أن المشركين قالوا: لئن لم تنته عن سب آلهتنا لَنَهْجُوَنَّ إلهك، ومعناه أنهم ينكرون أن الله هو إلهه؛ ولذلك أنكروا الرحمن: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ (الفرقان: 60)، فهم ينكرون أن الله أمره بذم آلهتهم؛ لأنهم يزعمون أن آلهتهم مقربون عند الله، وإنما يزعمون أن شيطاناً يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسب الأصنام" [1] .

ونقول: هذا هو جواب الرازي الثالث على هذا المشكل، **ونَجِدُ** أنَّ الطاهر ابن عاشور قد وافق الرازي في جوابه، واختاره كجواب لهذا المشكل [2].

ثم خالف ابن عاشور الرازي في جوابيه الأول والثاني [3] على هذا المشكل، حيث قال: " وجواب **الفخر** عنه بأن بعضهم كان لا يثبت وجود الله وهم الدهريون، أو أنَّ المراد أنهم يشتمون الرسول- عليه الصلاة والسلام -فأجرى الله شتم الرسول مجرى شتم الله كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: 10)، فإنّ في هذا التأويل بُعداً لا داعي إليه " [4].

ثم يواصل في دفعه للإشكال تأكيداً عليه، فيقول: " وقوله: (بِغَيْرِ عِلْمٍ) حال من ضمير (فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ)، أي عن جهالة، فَهُم لجهلهم بالله لا يزعهم وازع عن سبه، ويسبونه غير عالمين بأنهم يسبون الله؛ لأنهم يسبون من أمر **محمداً** صلى الله عليه وسلم بما جاء به، فيصادف سبهم سب الله تعالى؛ لأنه الذي أمره بما جاء به." [5] .

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 7/ 429.
(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 13/ 110.
(3) ينظر: المصدر السابق، 13/ 109.
(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 7/ 429.
(5) المرجع السابق، 7/ 432.

المشكل الثالث :

في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾(الأنعام: 109)

أولاً: تحديد المشكل:

حدَّدَ ابن عاشور الإشكال ونص عليه قائلاً: " وَقَوْلُهُ: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)، وهذه الجملة **عقبةُ حَيْرَةٍ** للمفسرين في الإبانة **عن معناها ونظمها** " [1] .

ثانياً: تحرير المشكل:

بعد أن فسر ابن عاشور هذه الآية، وبيَّن القراءات وتوجيه معنى كل قراءة، **حرَّر** موضع المشكل المتعلق بمعنى نظمها في الآية:(وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)، **فقال**: " وإنما العقدة في وجود "حرف النفي" من قوله:(لَا يُؤْمِنُونَ)؛ لأن (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) بمعنى قولهم: ما يدريكم، ومعتاد الكلام في نظير هذا التركيب أن يظن المخاطب وقوعه، والشيء الذي يظن وقوعه في هذا المقام هو أنهم يؤمنون؛ لأنه الذي يقتضيه قسمهم (لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا) فلما جعل متعلق فعل الشعور **نَفْيَ** إيمانهم كان متعلقاً **غريباً** بحسب العرف " [2]

ثالثاً: جواب المشكل:

قال ابن عاشور: " فلنحمل اسم الاستفهام هنا على معنى التنبيه والتشكيك في الظن، ونحمل فعل (يُشْعِرُكُمْ) على أصل مقتضى أمثاله من أفعال الْعِلْمِ، وإذا كان كذلك كان نفي إيمان المشركين بإتيان آية وإثباته سواء في الفرض الذي اقتضاه الاستفهام، فكان المتكلم بالخيار بين أن يقول :(أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)، وأن يقول :(إنها إذا جاءت يؤمنون)، وإنما أوثر جانب النفي للإيماء إلى أنه الطرف الراجح الذي ينبغي اعتماده في هذا الظن" [3].

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور ، 7/ 436.
(2) المرجع السابق، 7/ 438.
(3) المرجع السابق، 7/ 439.

المشكل الرابع: المتعلق بما يوهم التعارض

في قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ **(الأنعام: 128)**

أولاً: تحديد المشكل:

حدَّدَ ابن عاشور نوع الإشكال في هذه الآية ونص عليه قائلاً:" معنى الآية موضع إشكال عند جميع المفسرين " [1].

ثانياً: تحرير المشكل:

بعد أن فسر ابن عاشور هذه الآية، **حرَّرَ موضع المشكل** في قوله تعالى: **(قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)**، من حيث تأثير ما يوهم التعارض على معنى الآية .

فقال-رحمه الله- : " مَعْنَى الآية موضع إشكال عند جميع المفسرين، من حيث ما تقرر في الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة أنَّ المشركين لا يغفر لهم وأنهم مخلدون في النار **بدون استثناء** فريق ولا زمان، وقد أحصيت لهم عشرة تأويلات، بعضها لا يتم، وبعضها بعيد " [2] .

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 8/ 71.

(2) المرجع السابق، 8/ 71.

ثالثاً: جواب المشكل:

أزال ابن عاشور-رحمه الله- هذا المشكل بجوابين اثنين وهما:

الجواب الأول:

قال فيه: " إذا جُعِلَ الِاسْتِثْنَاءُ مُعْتَرِضًا بين حكاية ما يقال للمشركين في الحشر وبين ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون هذا الاعتراض خطاباً للمشركين الأحياء الذين يسمعون التهديد؛ إعذاراً لهم أن يسلموا، فتكون (ما) مصدرية غير ظرفية: أي إلا مشيئة الله عدم خلودهم، أي حال مشيئته، وهي حال تَوْفِيقِهِ بَعْضَ المشركين للإسلام في حياتهم"(1).

الجواب الثاني:

قال فيه: " وإذا جعل قوله: **(خالدين)** من جملة المقول في الحشر كان تأويل الآية: أن الاستثناء لا يقصد به إخراج أوقات ولا حالة، وإنما هو كناية، يقصد منه أن هذا الخلود قدره الله تعالى، مختاراً لا مكره له عليه، إظهاراً لتمام القدرة، ومحض الإرادة، كأنه يقول: لو شئت لأبطلت ذلك، وقد يعضد هذا بأن الله ذكر نظيره في نعيم أهل الجنة في قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ﴾ (هود: 108) " (2).

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 8/ 71.

(2) المرجع السابق، 8/ 72.

المطلب الخامس

منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل القراءة القرآنية في سورة الأنعام

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ **(الأنعام: 145)**

أولاً: تحديد المشكل:

نّصَّ ابن عاشور على المشكل في هذه الآية عند قوله تعالى:(**إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً**)، **فقال:** " قرأه ابن عامر وأبو جعفر **(يَكُونَ)** بتاء فوقية، ورفع **(مَيۡتَةً)**[1]، ويشكل على هذه القراءة أن المعطوف على ميتة منصوبات" [2]

ثانياً: تحرير المشكل:

أشار ابن عاشور إلى مكمن الإشكال في هذه القراءة، بقوله: " ويُشكل على هذه القراءة أن المعطوف على ميتة منصوبات وَهِيَ: (**أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ**)، وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَيْهَا صَاحِبُ الْكَشَّافِ" [3]

ثالثاً: جواب المشكل:

وأجاب -رحمه الله- على هذا الإشكال، فقال: " وقد خرجت هذه القراءة على أن يكون: (**أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا**) عطفاً على أن وصلتها؛ لأنه محل نصب بالاستثناء فالتقدير: إلا وجود ميتة، فلما عبر عن الوجود بفعل يكون التام ارتفع ما كان مضافاً إليه" [4].

---

(1) **قراءة متواترة،** ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1/ 588.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 8/ 140.

(3) المرجع السابق، 8/ 140.

(4) المرجع السابق، 8/ 140.

المطلب السادس

منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل السياق في سورة الأنعام.

وذلك في قوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ **(الأنعام: 38)**

أولاً: تحديد المشكل:

ابتدأ ابن عاشور بتحديد مشكل الآية قبل تأويلها، فنص عليه قائلاً: " مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ غَامِضٌ بَدْءًا. وَنِهَايَتُهَا أَشَدُّ غُمُوضًا، **وَمَوْقِعُهَا فِي هَذَا السِّيَاقِ خَفِيُّ الْمُنَاسِبَةِ** " [1].

ثانياً: تحرير المشكل:

في هذه الآية إشكالان:

المشكل الأول في غموض المعنى، وقد سبق تحريره، ودفعه في مطلب (مشكل المعنى).

المشكل الثاني في مناسبة هذه الآية لسابقتها من الآيات، وهذا هو بيت القصيد في هذا المطلب، وقد نص عليه ابن عاشور قائلاً: " **وَمَوْقِعُهَا فِي هَذَا السِّيَاقِ خَفِيُّ الْمُنَاسِبَةِ**"، وقد خفي على بعض المفسرين سر اقتران موقع هذه الآية بالآية التي تسبقها والآية التي تلحقها.

ثالثاً: جواب المشكل:

وللإجابة على هذا المشكل ربط ابن عاشور هذه الآية مع الآية التي تسبقها والتي تلحقها، وأسهب في المناسبة بين هذه الآيات، وذلك لبيان ما يأتي:

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 213/7.

أولاً : قدرة الله تعالى وكمالها :

فقال -رحمه الله- :

" فموقع هذه الآية عند بعض المفسرين أنها بمنزلة الدليل على مضمون قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: 37) ، فيجوز أن تكون معطوفة على جملة: (**قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً)** (الأنعام: 37) على أنها من جملة ما أمر النبي بأن يقوله لهم، أو تكون من خطاب الله لهم، أي أن خلقها آية على عظيم قدرته لا يعجزه أن يأتي بآية حسب مقترحكم، ولكنكم لا تعلمون الحكمة في عدم إجابتكم لما سألتم، **ويكون تعقيبه** بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ (الأنعام: 39) واضح المناسبة، أي لا يهتدون إلى ما في عوالم الدواب والطير من الدلائل على وحدانية الله " [1] .

ثانياً : إثبات البعث والحشر :

فقال: " فيناسب أن تكون جملة: (وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ.. الآية) عطفاً على جملة: ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٣٦﴾ (الأنعام: 36)، فإن المشركين ينكرون البعث، فلما توعدهم الله بالآية السابقة بأنهم إليه يرجعون، زاد أن سجل عليهم جهلهم فأخبرهم بما هو أعجب مما أنكروه، وهو إعلامهم بأن الحشر ليس يختص بالبشر بل يعم كل ما فيه حياة من الدواب والطير، فالمقصود من هذا الخبر هو قوله:(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ)، وأما ما قبله فهو بمنزلة المقدمة له والاستدلال عليه، أي فالدواب والطير تبعث مثل البشر" [2].

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور ، 7/213-214.

(2) المرجع السابق، 7/215.

المطلب السابع

منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل سبب النزول في سورة الأنعام.

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨ ﴾ **(الأنعام: 108)**

أولاً: تحديد المشكل:

نقل ابن عاشور عن الفخر الرازي إشكالين في هذه الآية- كما سبق بيان ذلك – فالأول: اتفاق العلماء على أن سورة الأنعام نزلت دفعة واحدة فكيف يصح أن يخصص لهذه الآية سبب نزول ؟ والآخر: أن الكفار كانوا يعبدون الأصنام لتشفع لهم عند الله تعالى، وهم يُقرّون بربوبيته، فكيف يعقل إقدامهم على شتم الله تعالى؟ [1].

ثانياً: تحرير المشكل:

ذكر ابن عاشور إشكالين في هذه الآية نقلهما عن الإمام الرازي:

فأما الإشكال الثاني: ففي التصور الذهني بمعنى الآية، وقد سبق تحريره، في(مشكل المعنى).

وأما الإشكال الأول: فهو في سبب النزول، فقد أشار **ابن عاشور** إلى أن العلماء اتفقوا على أن سورة الأنعام نزلت دفعةً واحدةً، فكيف يصح أن يقال: إن سبب نزول هذه الآية مَا رَوَى الطَّبَرِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ (الْأَنْبِيَاء: 98)، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا، وَشَتْمِهَا لَنَهْجُوَنَّ إِلَهَكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ)؟ [2].

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 13/ 109، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، 7/ 429

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420 هـ - 2000 م، 12/ 34، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، 7/ 428-429

ثالثاً: جواب المشكل:

قال ابن عاشور مجيباً على هذا الإشكال:

" يدفع الإشكال الأول أن سبب النزول ليس يلزم أن يكون مقارناً للنزول، فإن السبب قد يتقدم زمانه، ثم يشار إليه في الآية النازلة، فتكون الآية جواباً عن أقوالهم، وقد أجاب **الفخر الرازي**" بمثل هذا عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الأنعام: 111) " [1]

وأما بالنسبة للحديث الذي ذكره الطبري عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في سبب نزول الآية، **قد نبَّه ابن عاشور إلى ضعفه**، فقال: " **فهو ضعيف**؛ لأن "علي بن أبي طلحة" ضعيف، وله منكرات، ولم يلق ابن عباس، ومن البعيد أن يكون ذلك المراد من النهي في هذه الآية؛ لأن ذلك واقع في القرآن فلا يناسب أن ينهى عنه بلفظ (**وَلا تَسُبُّوا**)، وكان أن يقال: (ولا تجهروا) بسب الذين يدعون من دون الله مثلاً " [2] .

وقد قال ابن حجر في تقريبه: " علي ابن أبي طلحة سالم مولى بني العباس أرسل عن ابن عباس، ولم يره، صدوق قد يخطئ " [3].

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 7/ 429 ، وينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 13/ 117 ،

(2) المرجع السابق، 7/ 428

(3) تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406ه - 1986 م، ص 402

الخاتمة

وفي نهاية المطاف، وبعد أن أكرمنا الله تعالى بإتمام هذا البحث، فقد توصلنا إلى عدد من النتائج المهمة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. إن المشكل في القرآن أمر نسبي، فقد يشكل على أحد ما لا يشكل على الآخر، وبذلك يتبين أن ليس كل إشكال للآيات له اعتباره، وحظه من البحث فيه، **لذلك لم يتتبع ابن عاشور كل ما استشكل من الآيات في سورة الأنعام إلا وفق ضوابط إيراد المشكل.**
2. إن الإشكال لا يكون في أصل الآيات، أو شذوذ ألفاظها؛ وإنما هو متعلق بفهم القارئ لهذه الآيات، فعلى هذا لا مانع من وجود المشكل في القرآن الكريم.
3. إن علم مشكل القرآن يكشف عن أوجه إعجاز القرآن الكريم البياني والبلاغي.
4. من خلال البحث **لم نقف على آية مشكلة استحال حل مشكلتها،** أو آيتين متعارضتين استحال الجمع بينهما، **وهذا مما يؤكد أن الإشكال يكون في فهم القرآن**
5. إن مشكل الآيات لا يُدفَع إلا بمعرفة طرق الجمع والتوفيق والترجيح بين النصوص، ومعرفة دلالة السياق، وأسباب النزول، ورد المتشابه المشكل إلى المحكم وغير ذلك.
6. بلغ مجموع الآيات المشكلة في سورة الأنعام في " التحرير والتنوير": (**ست آيات قرآنية**)، جاءت في **ستة أنواع** للمشكل، واتضح خلال هذه الدراسة أنه لا أصل للمشكل في آيات سورة الأنعام، **وإنما هو إشكال طارئ مبني على فهم المفسرين لهذه الآيات،** وهذا ما كشفه ابن عاشور في براعة منهجه في تحرير المشكل الوارد في السورة ، ودفعه إياه.

أهم التوصيات:

اقتضت طبيعة البحث استقراء العديد من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع مشكل القرآن، وكتب التفسير التي تناولت مشكل الآيات، فوجدنا أنه من الضروري أن نوصي الباحثين المهتمين في مجال علوم القرآن استخراج موسوعة للآيات المشكلة من كتب التفسير التي عالجت المشكل في آيات القرآن أثناء تفسير أصحابها لها.

سائلين الله أن يبارك في هذا العمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

1. **الإبهاج في شرح المنهاج**، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، و تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية، بيروت ،1416هـ - 1995.
2. **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت:911ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1394هـ - 1974م.
3. **إحكام الفصول في أحكام الأصول**، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، (ت474هـ)، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ - 1995م.
4. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق الطبعة، ط1، 1419هـ - 1999م
5. **أصول السرخسي**، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة، بيروت.
6. **الاعتصام**، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: 790ه)، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1992م.
7. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1376 هـ - 1957 م
8. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت: 1393ه)، تونس: الدار التونسية للنشر (د. ط)، 1984م.
9. **تراجم المؤلفين التونسيين**، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1994م
10. **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1986م.
11. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:310ه)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.

12. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
13. **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور**، محمد الحبيب بن خوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (د.ط)، 1425هـ -2004م.
14. **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره**، د. بالقاسم الغالي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ،1417هـ - 1996م.
15. **علم أصول الفقه**، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، ط14، 1401.
16. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط8، 1426 هـ - 2005 م، ص:49
17. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمرو جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
18. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور(ت: 711هـ)، بيروت: دار صادر، ط3 ،1414ه.
19. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: 209هـ)، تحقيق: محمد فواد، مكتبة الخانجى، القاهرة، (د.ط)، 1381ه.
20. **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: أنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط3، 1426هـ - 2005م.
21. **مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء**، دراسة تحليلية، الخياط، د. أسامة بن عبدالله، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1421هـ - 2001م.
22. **المدخل لدراسة القرآن**، محمد بن سويلم أبو شهبة، مكتبه السنة، القاهرة، ط2 ،1423 هـ

23. **مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور جمعاً ودراسة**، د. علي بن عبد الله ابن حمد السكاكر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1437هـ.
24. **المشكل في القرآن**، عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1426هـ
25. **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ،حامد عبد القادر ، محمد النجار) دار الدعوة، ط4، 2008م، 722/2
26. **مفاتيح الغيب**، محمد بن عمر الفخر الرازي (ت: 606ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
27. **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1399هـ - 1979م.
28. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ -1995م.
29. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: 790ه)، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان للنشر، القاهرة، ط1، 1417هـ.
30. **المؤنس في أخبار أفريقية وتونس**، محمد **بن أبي** القاسم القيرواني، المعروف **بابن أبي** دينار (ت:1110ه)، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط 1 ،1386هـ.
31. **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت: 833هـ)، تحقيق: على الضباع، دار الفكر، بيروت، ط1، (د.ت).

تم بحمد الله

List of sources and references

•*The Holy Quran*

1. Perfection in the Sciences of the Qur'an, Jalal al-Din Abd al-Rahman al-Suyuti (T.: 911 AH), investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, the Egyptian General Book Organization, Cairo, (d.), 1394 AH - 1974 AD.

2. The Sheikh of Islam, the Grand Imam, Muhammad al-Taher bin Ashour, Muhammad al-Habib bin Khoja, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Qatar, (d.), 1425 AH - 2004 AD.

3. Sheikh of the Great Mosque, Muhammad Al-Taher bin Ashour, his life and effects, d. Bel Qasim Al-Ghali, Dar Ibn Hazm for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1, 1417 A.H. - 1996 A.D.

4. Ilm Usul Fiqh, Abdul Wahhab Khallaf, Dar Al-Qalam, Kuwait, 14th edition, 1401.

5. The Scout for the Truths of the Mysteries of Download, Mahmoud bin Amr Jarallah Al-Zamakhshari (T.: 538 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 3rd edition, 1407 AH.

6. Lisan Al-Arab, Muhammad bin Makram bin Manzour (T.: 711 AH), Beirut: Dar Sader, 3rd edition, 1414 AH.

7. The Metaphor of the Qur'an, Abu Obeida Muammar bin Al-Muthanna (T.: 209 AH), investigation: Muhammad Fawad, Al-Khanji Library, Cairo, (d. i), 1381 AH.

8. Majmoo' Al-Fatwas, Taqi Al-Din Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (T.: 728 AH), investigation: Anwar Al-Baz, Dar Al-Wafaa for Printing and Publishing, Mansoura, 3rd edition, 1426 AH -2005 AD.

9. Various hadiths between modernists, fundamentalists and jurists, an analytical study, Al-Khayyat, d. Osama bin Abdullah, Dar Al-Fadhila for Publishing and Distribution, Riyadh, 1, 1421 AH - 2001 AD.

10. The Introduction to the Study of the Qur'an, Muhammad bin Suwailam Abu Shahba, Library of the Year, Cairo, 2nd Edition, 1423 AH.

11. Refinement of Chapters in Ahkam al-Usul, Abu al-Walid Suleiman bin Khalaf al-Baji, (d. 474 AH), investigation: Abdul Majeed Turki, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 2, 1414 AH - 1995 AD.

12. The problem of the Noble Qur'an in the interpretation of Ibn Ashour, collection and study, d. Ali bin Abdullah bin Hamad Al-Sakaker, The Islamic University, Madinah, 1, 1437 AH.

13. The Problem in the Qur'an, Abdullah bin Hamad Al-Mansour, Dar Ibn Al-Jawzi, Dammam, 1, 1426 AH

14. Keys to the Unseen, Muhammad bin Omar Al-Fakhr Al-Razi (T.: 606 AH), House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 3rd edition, 1420 AH.

15. Language Standards, Ahmed bin Faris bin Zakaria (T.: 395 AH), investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, Beirut, (d.), 1399 AH - 1979 AD.

16. Manasil al-Irfan fi Ulum al-Qur'an, Muhammad Abd al-Azim al-Zarqani (T.: 1367 AH), investigation: Fawaz Ahmed Zamrli, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1, 1415 AH -1995 AD.

17. Al-Muwafaqat, Ibrahim bin Musa Al-Shatibi (T.: 790 AH), investigation: Mashhour bin Hassan, Ibn Affan Publishing House, Cairo, 1, 1417 AH.

18. Al-Mounis in African and Tunisia News, Muhammad ibn Abi al-Qasim al-Qayrawani, known as Ibn Abi Dinar (T.: 1110 AH), Tunisian State Press, Tunis, 1, 1386 AH.

19. Al-Ibhaj fi Sharh Al-Minhaj, Taqi Al-Din Abu Al-Hassan Ali bin Abdul Kafi Al-Subki, and Taj Al-Din Abu Nasr Abdul-Wahhab, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1416 AH - 1995.

20. Publishing in the Ten Readings, Shams al-Din Muhammad ibn Muhammad ibn al-Jazari (T.: 833 AH), investigation: Ali al-Diba`, Dar al-Fikr, Beirut, 1st edition, (d. T).

21. The Origins of Al-Sarkhi, Muhammad bin Ahmed bin Abi Sahl Al-Sarkhi, Dar Al-Marefa, Beirut.

22. Guiding stallions to achieving the truth from the science of origins, Muhammad bin Ali bin Muhammad Al-Shawkani, investigation: Ahmed Ezzo Inaya, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Damascus Edition, 1, 1419 AH - 1999 AD

23. Al-Istisam, Ibrahim bin Musa Al-Shatibi (T.: 790 AH), investigation:

Salim Al-Hilali, Dar Ibn Affan, Saudi Arabia, 1st edition, 1992 AD.

24. The Ocean Dictionary, Majd Al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi, investigation: Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation, under the supervision of: Muhammad Naeem Al-Araqsusi, Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 8th edition, 1426 AH - 2005 AD, p.: 49

25. The Intermediate Lexicon, The Arabic Language Academy in Cairo (Ibrahim Mustafa, Ahmed Al-Zayyat, Hamed Abdel-Qader, Muhammad Al-Najjar) Dar Al-Da`wah, 4th edition, 2008 AD, 2/722

26. The Proof in the Sciences of the Qur'an, Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahader Al-Zarkashi (T.: 794 AH), investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maarifa, Beirut, 1, 1376 AH - 1957 AD

27. Liberation and Enlightenment, Ibn Ashour, Muhammad al-Taher Ibn Muhammad (d. 1393 AH), Tunisia: Tunisian House of Publishing (d. i), 1984 AD.

28. Biographical translations of Tunisian authors, Muhammad Mahfouz, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 2nd edition, 1994 AD

29. Taqreeb Al-Tahdheeb, Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani (T.: 852 AH), investigation: Muhammad Awamah, Dar Al-Rashid, Syria, 1, 1986 AD.

30. Jami' al-Bayan on Interpretation of the Verses of the Qur'an, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir al-Tabari (T.: 310 AH), investigation: Ahmed Muhammad Shaker, Beirut, Al-Resala Foundation, 1, 1420 AH - 2000 AD.

31. The Collector of the Rulings of the Qur'an, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Qurtubi (T.: 671 AH), investigation: Ahmed Al-Baradouni, and Ibrahim Atfayesh, Dar Al-Kutub Al-Masryah, Cairo, 2, 1384 AH-1964 AD.